

أضواء البيان

@ 240 @ زينب في قلبه ومحبتته لها ، وهي تحت زيد ، وأنها سمعته ، قال : (سبحان مقلب القلوب) إلى آخر القصّة ، كله لاصحة له ، والدليل عليه أن اللّاه لم يبدل من ذلك شيئاً ، مع أنه صرّح بأنه مبدي ما أخفاه رسول اللّاه صلى الله عليه وسلم ، انتهى محل الغرض من كلامنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك . .

وقال القرطبي رحمه اللّاه في تفسير هذه الآية : واختلف الناس في تأويل هذه الآية ، فذهب قتادة ، وابن زيد ، وجماعة من المفسّرين ، منهم : الطبري . وغيره : إلى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد ، وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوّجها هو ، إلى أن قال : وهذا الذي كان يخفي في نفسه ، ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف ، يعني قوله : { أَمْ سِرْكٌ عَلَيَّكَ رِزْوَجُكَ } ، اه . ولا شك أن هذا القول غير صحيح ، وأنه غير لائق به صلى الله عليه وسلم . .

ونقل القرطبي نحوه عن مقاتل ، وابن عباس أيضاً ، وذكر القرطبي عن علي بن الحسين أن اللّاه أوحى إلى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن زيداً سيطلق زينب ، وأن اللّاه يزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن علم هذا بالوحي . قال لزيد : (أمسك عليك زوجك) . وأن الذي أخفاه في نفسه ، هو أن اللّاه سيزوّج زينة رضي اللّاه عنها ، ثم قال القرطبي ، بعد أن ذكر هذا القول : قال علماؤنا رحمة اللّاه عليهم : وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية . وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسّرين ، والعلماء الراشدين ، كالزهري ، والقاضي بكر بن العلاء القشيري ، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم ، إلى أن قال : فأماً ما روي أن النبيّ صلى الله عليه وسلم هو زينب امرأة زيد ، وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق ، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبيّ صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا أو مستخفّ بحرمة . .

قال الترمذي الحكيم في نوارد الأصول ، وأسند إلى عليّ بن الحسين قوله : فعلي بن الحسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرًا من الجواهر ودرّاسًا من الدرر أنه إنما عتب اللّاه عليه في أنه قد أعلمه ، أن ستكون هذه من أزواجه ، فكيف قال بعد ذلك لزيد : (أمسك عليك زوجك) ، وأخذتك خشية الناس أن يقولوا : تزوّج امرأة ابنه ، واللّاه أحق أن تخشاه ، انتهى محل الغرض منه . .

وقال ابن كثير رحمه اللّاه في تفسير هذه الآية : ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي اللّاه عنهم ، أحببنا أن نصرب عنها صفحاً لعدم صحتها ، فلا

